التناص من خلال ثائية الاستدعاء والتحويل في شعر الجواهري

د. الطيب بوترعة

المركز الجامعي بالنعامة .

تقديم:

يعتبر التناص من أهم المفاهيم النقدية التي اهتمت بها الشعرية الغربية والسيميائيات النصية؛ لما له من فعالية إجرائية في تفكيك النص وتركيبه، ويعد كذلك من أهم المفاتيح الإجرائية لفهم الأدب، ورصد عملية التثاقف في شتى المجالات الفكرية والفنية والأدبية، وهو أداة ناجعة لمقاربة النص الأدبي واستنطاقه ومعرفة بنيته العميقة، والدخول إلى أغواره واستكناه دلالاته وتفاعلاته الخارجية والداخلية. لأن النص مهما كان هو شبكة من التفاعلات الذهنية، ونسق من المصادر المضمرة والظاهرة التي تتوارى خلف الأسطر وتتمدد في ذاكرة المتلقي.

والتناص أيضا مجموعة من الأصوات والإحالات التي تنصهر في النص الأدبي بطريقة واعية أو غير واعية أو هو التداخل النصي بصفة عامة،بل النصوص الإبداعية تبعا لهذا هي امتصاص ومحاكاة للنصوص السابقة وتفاعل معها .

ووفقا لهذ المنظور تظهرللشاعر خصوصية تميزه ،فهو يستقي مادته من مخزونه الثقافي الذي احتوته الذاكرة عبر مراحل زمنية متعاقبة . فيسحب بذلك اللغة من فضاءاتها النصية المختلفة نحو فضائه الخاص، حيث يجعلها تقوم على الوظائف الجمالية التي تجعل من الكلام شعراً.

وعلى محك هذه الرؤية تتولد هناك علاقة مباشرة بين التناص الذي يجعل من النص الأدبي حاضنا لنصوص متعددة، والشعرية باعتبارها الناتج الجمالي لتظافر تلك النصوص في نسيج واحد.

ووفقاً لهذا التصوّر فإن النصّ قابل للتمدد عبر زمنه التاريخي استدعاءً لنصوص سابقة، وامتداداً وتشعباً فيما لا حصر له من نصُوص، منشأ لأثر جمالي فيكتسب بذلك هوية خاصة.

وضمن هذا المسار يتجه هذا المقال إلى استبطان نصوص الجواهري واستنطاقها من خلال كشف علاقات تقاطعها مع النصوص السابقة، ورصد ما نتج عن تلك العلاقات من مناحي جمالية ، وهو المحور الذي تدور حوله الدراسة بشكل رئيس، معتمدا في ذلك على التناص نفسه، لابوصفه نهجا إجرائيا وحسب، ولكن بوصفه ممارسة إنتاجية، ولا نعني بالإنتاجية محوَ الذات المبدعة للنص في بوتقة النص الواصف، بل نعني بها إعادة إنتاج النص الشعري، بوصف الذات خالقة له متخلقة فيه.

إن الشاعر الجواهري ظل مخلصا لرؤيته الشعرية، وتصوره للعملية الإبداعية، فهو لم يسقط في كتابة شعرية ذات هاجس واقعي ،وإنما سعى إلى خلق تجربة شعرية منطلقها الوعي بالذات ومنتهاها الاندغام والانغماس في الهموم المجتمعية،والانشغالات الإنسانية، فقد ظل الجواهري عنيداً أمام السؤال، ضعيفاً أمام إغواء الشعر وإغراء القصيدة. معمّراً

مثل لبيد العامري، منفياً مثل المتنبي، فقد عاش أكثر من ثلث عمره في الغربة، التي أرخها في سنواته الأولى " ببريد الغربة" و"يا دجلة الخير"، مفكراً مثل المعرّي، حيث رصع قصائده بالحكمة والمعرفة[1].

ومن ثم وسم القصيدة الشعرية بنكهتها العراقية في بعدها المحلي،والممتدة في التربة العربية؛وجعلها ترتاد آفاقا إبداعية تروم الاحتفاء بالذات؛ احتفاء جماليا متشحا ببعده الإنساني،راسمة ملامح صوت شعري يغوص في كوامن الأعماق؛ لتأثيث التجربة الشعرية بصبغة التجديد والإبداع النابع من صلب المعاناة والمجاهدة والنضال؛ التي خاضتها الذات في عوالم واقع يتسم بالأوجاع والجروح المنغرزة في جسد وطن معطوب بالانهيارات والهزائم،وهذا يدل على أن الشاعر الجواهري شاعر من سلالة الشعراء الذين اختاروا عدم الإقامة في تخوم العزلة.

ومكمن هذا العمق الإبداعي وأصالة الرؤية الشعرية هو إعطاء مسافة للتأمل والإمعان في عالم متأزم؛حيث استطاع أن يؤسس تجربة شعرية تمتاح من معين الحرقة والاغتراب؛مما أسهم في إغناء التجربة وإثرائها.

وتشكل بنية التناص مع التراث ملمحا من ملامح شعرية النص الجواهري،وهي بنية مفتوحة على دلالات ممتدة ،إذ لا يمكن القبض على المعاني النصية مباشرة؛ ذلك أن النص الشعري متشرب من روافد تراثية وتاريخية وفكرية متشعبة ،مما يتطلب الغوص عميقا في ثنايا النص؛ للوقوف على أبعاده الجمالية والفنية.

– الاستدعاء والتحويل:

تعتبر هذه الثنائية من الاليات التي يشتغل بها التناص والدرجات التي يتحقبه ، وهي (من الثنائيات التي يعمد الشاعر الاشتغال عليها في منطقه التناصي من أجل الخروج بمنجز فني إبداعي متحول عما سبقه وإن كان متناصا معه، فهذه الثنائية تنطوي على الاستدعاء والاستحضار لنصوص معينه سواء كانت سابقة أو معاصرة، وإدخالها ضمن ماكنة التحليل الذهني لإعادة إنتاجها في المنجز اللاحق، أو المتشكل منها. حيث يتشكل التناص من مجموعة استدعاءات نصية، يتم إدماجها، وفق الشروط محددة في النص المتناص, وذلك بعد إجراء عمليات تحويلية في النصوص المستدعاة وعلى كل المستويات الشكلية والصياغية والمضامينية ،حتى لا يقع الشاعر في شرك التقليد أو التجميع المبهم).[2]

وهذه الثنائية ترتبط بآلية التحليل وإعادة التركيب بصياغة جديدة، لتحقيق علاقة تناصية حيوية، بفعل الانزياح وإدخال دلالات جديدة، تكون مؤسسة بدورها، بفعل دوال جديدة التركيب خاضعة للتحليل والبناء العلائقي المتحول وعلية سيكون للتناص فعل إبداعي من خلال فتح الآفاق التأويلية[3].

-1 تجديد الأفق:

ونجد أن آلية الاستدعاء والتحويل ماثلة في الكثير من نصوص الجواهري ، حيث تمنح للنصوص المستدعاة آفاقا مغايرة لأصلها تجعلها تحظى بطاقات جديدة في متن نصه من خلال توظيف دوالها وفق مايقتضيه النص الحاضر

، محافظة في الوقت نفسه على أجواء مصدرها التراثي ، وهذا التفاعل الخلاق يجعل نص الجواهري أكثر شعرية وهو يخوض تجربته الإبداعية التي تعكس معاناته خاصة في الاغتراب، مهاجرا بأفكاره التي ضاق بها أفق بلاده ، فلا يجد إلا حنينه ليرسله إلى موطنه .

وفريقٌ منَ وَجْنَتَيْنِ شَحُوبيْ نِ وقَدْ فاتَت الجميعَ عيوني
اقرئيني مْنها ففيها مطاوي الـ نّفْسِ طَرّاً وكُلّ سِرٍّ دفينِ

فيهما رغبةٌ تفيضُ وإخل صٌ وشكٌّ مخامرٌ لليقينِ
وإذا ما سئلتِ عَنّي فقولي لَيْسَ بدْعَاً إغاثَةُ المسكينِ
أَتجديني في عالمٍ تَنْهش الذّؤْ بَان لَحْمي فيه ولا تُسْلميني[4]

فالشاعر يبحث عن ذاته من خلال المغامرة والجري وراء المستحيل، فهو يريد كل شيء ولا يمتلك شيئاً سوى غربته البائسة ومثاليته المهزوزة، ومن هنا كان موقف الغربة بهذا المعنى انتقالياً يمتص فيه الشاعر كل ألوان المعاناة التي تباعد بينه وبين الواقع وتحول دون اندماجه فيه.[5]

إنها ثورة النفس من منظورها الضيق، وحركتها التي لا تخضع لحركة الوعي ولمنطقه، ومن هنا تظهر النفس هوجاء في قوانينها (لأن الفكر في الشعر يشكل الوعي المراقب للفن وللذات، بحيث يحيل المشاعر إلى معادل فني، فيه من الرؤيا سعتها وشموليتها)[6].

فقد تحول الجواهري من الاعتماد على الذاكرة والتكرار إلى الاعتماد على المخيلة والتأمل وصار تدريجياً يتخلى عن محاكاة التراث إلى تحويله والامتياح منه بامتصاص دلالاته أو محاورتها على ناحية فنية ، حيث أنه أدرك أهمية الكلمة وهي تقفز من تجربة إلى أخرى محملة بمحمولاتها الدلالية ، حيث يقول: (إن الكلمة الصالحة باقية، وهي تجربة قاسية ومعاناة وإدراك عميق وحس مرهف وقدرة على التحويل والتطور وعلى المزاج، إنها قدرة على الخلق والإبداع)[7]. فأقام بينها وبينه علاقة دينامية، فهي تعرفه ويعرفها من خلال قراءته المستمدة حتى مازجت روحه ثم يضيف: (إن أديباً لم يحفظ البحتري وأبا نواس وابن الرومي والمعري وأبا تمام، أو لم يدرس الجاحظ والأخطل والقرآن ونهج البلاغة، لا يمكن أن يكون شاعراً أو كاتباً أبداً، وإن قرأ مليون رواية وكتاب أجنبي، وإن درس خمسين عاماً أساليب الشعر والأدب، وإن

استوعب كل النظريات والمبادئ، وألمّ بثقافات العالم)[8].

وبذلك استطاع الجواهري أن يرسم المسافة بين مشاكلته للنصوص السابقة و وقدرته على تجاوزها وتحويلها بعد إخضاعها إلى ما يقتضيه نصه .

سَلامٌ عَلَى حَاقِدٍ ثَائِرٍ عَلَى لاَحِبٍ مِنْ دَمٍ سَائِرٍ
خُبٌّ وَيَعْلَمُ أنَّ الطَّرِيـ ـقَ لابُدَّ مُفضٍ إلى آخِرِ
كَأنَّ بقايا دَم السَّابِقِيـ ـنَ ماضٍ يُمَهِّدُ لِلْحَاضِ
كأنَّ رَمِيمَهُمُ أَنْجُمٌ تُسَدِّدُ مِنْ ذَلِلِ العَا
وَلَيْسَ عَلَى خَاشِعٍ خَانِعٍ مُقيمٌ عَلَى ذُلِّه صابرِ
يُلُّ يَدَ الشَّعْبِ عَنْ أنْ تُمَدَّ لِكَسْرِ يَدٍ الحَاكِمِ الجَائرِ
سَلامٌ عَلَى جَاعِلِينَ الحُتُ فَ جِسْراً إلى المؤكِبِ العَّابِرِ
سَلامٌ عَلَى مُثْقَلٍ بالحَدِيد وَيَشْمَخُ كالقَائِدِ الظَّافِرِ
كَأنَّ القُيُودَ عَلَى مَعْصَمَيْهِ مَفَاتِيحُ مُسْتَقْبَلٍ زَاهِرِ[9]

ينطلق الشاعر – في بناء النص– من التعبير بالصور القائمة على التباين والتقابل بين النقيض ونقيضه (الرميم الهامد –والنجوم الساطعة) و (الحتوف – الجسر الممتد) و (القيود – المستقبل)، هذا

التباين والتقابل يولد نوعاً من التوتر والحركة الداخلية، ويوحي بالمخاض، والتفاؤل الثوري من خلال الجدل بين الظواهر.

وعلى هذا الصراع الدائر بين هذه الأضداد في مفردات النص يُجسّد الصراع المحتدم بين الجماهير وبين جلاديها من حكام ومستعمرين.

وفي هذا النص نزعة درامية، تعكس منظور الشاعر النفسي، لأنه مركب تركيباً دراماياً يعبر عن أزمة مواطن وشعب وقع تحت وطأة القهر الاجتماعي والسياسي على أيدي الطغاة.[10]

كما نلمح من خلال هذا النص التحول من التمرد الخاص إلى التمرد العام ومن الشك بالمجتمع إلى الشك بالسلطة،من خلال استثمار عبارات التضحية المستدعاة (ثائر ، دم السابقين ، جاعلين الحتوف جسرا ، مثقل بالحديد) وتحويلها عن مسارها الماضوي لتفيد وجوب التضحية في المستقبل ، فقد أكسبها النص الجديد معنى الحضور المستقبلي من حيث أنها متعلقة بمصير الشعوب الرافضة للاستبداد ،وثمة قصائد أخرى تجسد وعي الشاعر بالأزمة على صعيد

الواقع والفن (كيوم الشهيد) و (أخي جعفر) و(تنويمة الجياع) ، و(هاشم الوتري) وغيرها.

-2 إضفاء فرادة التجربة:

وَإِنَّما أنَا والدُّنْيَا وَمِحْنَتُهَ كَطَالِبِ الماءِ لما غَاصَ بِالماءِ

وَلا أحبُّ ظَلامَ القَبْرِ يَغْمُرُنِي أنَا المشِعُّ بِآمَالٍ وَأَهْوَاءِ[11]

وينتقل الشاعر من خلال ثنائية الاستداعاء والتحويل من أزمة الوعي إلى الوعي بها، مؤشر على رؤية الشاعر الجدلية وهي تتأمل جمالية الحياة من أضداد العيش فاستثمار الماء ليفيد النقيضين ، واستخدام التقابل ظلام / مشع ، دليل على التحول من الأمر إلى نقيضه مفيدا تحولات شعورية واعية حيث (أنه كلما فاض الشعور، وطغى على الوعي، استمد من الثورة النفسية، واستوحى من الظلال الشعورية، كما يجري في ميدانه الأصيل)[12]. كما أنها نابعة من تناقضات الداخل والخارج، فقد بدأ من النفس وتناقضاتها وانتهت بالشعب وصراعاته.

والتزم الشاعر بثورته الداخلية، ، حيث يجعل منها رأس رمح على حد تعبيره، كلما أخفقت عاد إلى الشعب:

هَذا السَّوادُ أعَزُّ مَا ضَمَّتْ يَدٌ للطَّارِئَاتِ وخَيْرُ مَا يُسْتَذْخَرُ[13]

ويدهش للمحرومين كيف يتخلى عنهم يوم التصادم:

أهذي النُّفُوس الخَاوِيَاتُ ضَرَاعَةً نُبَاهِي بهَا الأقْرَانَ يَوْمَ التَّصَادِمِ[14]؟

فَمَا بَالُ مَحْر بينَ لَمْ يَحْلُ مَطْعَمٌ لَهُمْ فَيُلَيْهِمُ ولَمْ يَصْفُ مَشْرَبُ؟

خَلِيِّينَ لا قُربَى فَيُخْشَى انْتِقَاصُهَا لدينهمْ ولا مَالٌ يُبَزُّ فَيُسْلَبُ

سِلاحُ البِلادِ المُرْهَفُ الحَدِّ مَالَه نَبَا مِنْهُ في يَوْمِ التَّصَادُمِ مَضْرَبُ[15]

وإلى المتمردين الذين يقتحمون الموت، فإذا ما استشهدوا كانت جراحهم أفواهاً:

تَصِيحُ عَلَى المُدْقِعينَ الجِيَاعِ أريقوا دماءَكُمُ تُطْعَمُوا

فَمٌ لَيْسَ كَالمُدَّعِي قَوْلُهُ ولَيْسَ كَآخِرِ يَسْتَرْحِمُ[16]

إلا أن(رؤية الجواهري للظواهر–هنا– تظل على نحو أسود وأبيض، تكاد تخلو من الظلال، لأن أحكامه قاطعة،

وحلوله حاسمة لا تقبل المساومة. فالحكام دائماً طغاة وأعمارهم قصار)[17]. والنصر آتٍ لا محالة إذا الشعوب تمرد وعيها، وذلك من خلال نظرته التفاؤلية:

لا تَيَأْسُوا إنْ لَمْ يلُحْ مِنْ لَيْلِهِ فَجْرٌ ولَمْ تُؤْذِنْ بِضَوْءِ نَهَارِ
لابُدَّ أنْ يَثِبَ الزَّمَانُ وَيَنْثَنِي حُكْمُ الطُّغَاةِ مُقَلَّمُ الأظْفَارِ[18]

وإن التفاؤل الثوري يمتد إلى أقدم الممارسات الوطنية في قصيدة (ثورة العشرين) آفاق النضال، هذه المبادئ تتكرر بإلحاح، كما يستند إلى مرجعية مشبعة بالروح العلمية الثورية، وهي في جوهرها أكثر انسجاماً مع خلقه الشخصي الوعر، ومن علامات هذا الانسجام تحولها في شعره إلى صور فنية تتمتع بقدر كبير من الإيحاء والتوتر، بعيداً عن جفاف الفكرة وسطحية الشّعار.[19]

ومنه فامتياح الجواهري من التجارب القائمة في واقعه يتشكل في تجربته بصور مختلفة.

وخلاصة القول :إن الشاعر الجواهري يقيم نصه في فضاءه الواقعي ، وخلفياته التراثية الذي يستفيد الشاعر من لغتها بعد أن يضفي عليها بعداً معاصراً يعكس مضمون تجربته، ولكي يعطي الشاعر لهذه التجربة، وتلك الرؤية مصداقيتها، وتأثيرها وتوترها يلجأ إلى إقامة تداخل بين شخصيته وشعبه الذي ينتمي إليه ، فيضحي ناطقا بلسانه معبرا عن حاله ممتاحا من أحداثه الجسام الاجتماعية، والسياسية، حيث تتداخل نصوص الشاعر مع نصوص أخرى مختلفة تقوم بعملية امتصاصها ، مما يكشف عن البعد الفني في هذه القصائد المختلفة، التي تتميز بجماليات تشكيلها وإيقاعها الهادئ والبسيط، وغناها الدلالي الناجم بصورة واضحة عن حالات التناص وعمليات الامتصاص والتحويل ،التي تتجلى في نصوص الشاعر، مما يكشف عن أن التناص الذي يقيمه يحمل رؤيته التي تتحرك وتنمو لتقيم نصها على تخوم نصوص وتجارب أخرى استحضرها لتتنفس جو واقعه فتنصهر ضمن بوتقة معاناته .

3- التحويل القيمي لشخصية المعري :

وعبر ثنائية الاستدعاء والتحويل يظهر احتفاء الجواهري بشخصية المعري من خلال استدعائها ومحاورتها ، بحيث أن الجواهري يعدها من الأيقونات التراثية التي كان شديد التأثر بها وتظهر ملامحها الشخصية والفلسفية في مواضع كثيرة من شعره ،غير أن الملمح البارز في استدعاء لهذه الشخصية التراثية يتجلى في القصيدة التي أفردها الشاعر لأبي العلاء المعري .

إن استدعاءات الجواهري لشخصية المعري مختلفة مواضعها في شعره، غير أن القصيدة التي أفردها له تدل عمق التأثر بتلك الشخصية بمختلف دلالاتها الفلسفية والفكرية ، فكانت تلك القصيدة (منطلقا للكثير من القضايا

التي يعيشها المثقف العربي المعاصر)[20]، فقد كانت مادة حية وفاعلة بصورها الحية ودلالاتها المضمونية ، حيث تناول الجواهري مختلف جوانب شخصية المعري، مستحضرا الجانب الحيوي والفكري لديه في امتزاج فلسفته بالعمى والتبرم من واقعه.

وسنتخذ هذه القصيدة موضوعا نقارب من خلاله توظيفات الجواهري لشخصية المعري ومدى امتياحه من فكرها وفلسفتها ،والتماهي مع حالة اغترابها الفكري عن واقعها ، فقد وجد الجواهري في شخصية المعري ما يعينه على الوصول إلى المتلقي بسلاسة وقوة، ليفرغ حمولات دلالية كثيرة أفرزها مكابدته لواقعه كما كابد المعري واقعه قديما.

يقول الجواهري :

قِفْ بالمعَرَّةِ وامسَحْ خَدَّها التَّرِبا واستَوحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنيا بما وَهَبا
واستَوحِ مَنْ طبَّب الدُّنيا بحكْمَتَهِ ومَنْ على جُرحها مِن روُحه سَكَبا
وسائلِ الحُفْرةَ المرموقَ جانِبُها هل تبتَغي مَطْمَعاً أو ترتجي طلَبا ؟
يا بُرجَ مفْخَرةِ الأجداث لا تهِني أنْ لم تكُوني لأبراج السَّما قُطُبا
فكلُّ نجمٍ تمنَّى في قَرارته لو أنَّه بشُعاعٍ منكِ قد جُذبا
والمِلْهَمَ الحائرَ الجبَّارَ،هل وصَلَتْ كَفُّ الرَّدى بحياةٍ بَعْدَه سَبَبا؟
وهل تَبدَّلْتَ رُوحاً غيرَ لاغبةٍ أم ما تزال كأمسٍ تشتكي اللَّغَبا
وهل تخبَّرْتَ أنْ لم يألُ مُنْطَلِقٌ منُ حرّ رأيكَ يَطْوي بعْدكَ الحقَبا
أم أنتَ لا حِقَبلً تدري ، ولا مِقَةً ولا اجتواءً ، ولا بُرءاً ، ولا وصَبا
وهل تصَحَّحَ في عُقْباكَ مُقْتَرَحٌ ممَّا تفَكرتَ أو حَدَّثْتَ أو كُتِبا ؟[21]

نلاحظ بداية حضور أفعال الأمر التي أعطت دلالات الطلب في النص فكانت بمثابة المثير الدلالي ، ففعل الأمر(قف) في بداية القصيدة يسترعي اتجاه المتلقي إلى الوقوف على الأطلال كما هو الحال في الشعر الجاهلي خاصة ، غير أن الوقوف هنا لا ينزع نحو الماضوية استحياء لها ،بل إن فعل الأمر الوارد بعد الفعل الأول(استوح) تنزاح بالمعنى نحو إحداث التوتر المطلوب (فهما تقلقان ذهن المتلقي ويفصلانه عن جوه الاعتيادي ليدخل جوا خاصا يخلقه الشاعر ويفرضه منذ أول بيت)[22]

فأفعال الأمر هنا من دلالاتها الإعجاب والتكريم، وهو استحضار لشخصية المعري على وجه الاحتفاء والتقدير، واسجلاب لأبي العلاء بحكمته وروحه وجعل المعرة مرادفة لها فهو رجلها بلا منازع .كما أن الوقوف على موضع قبره ،وجعله رمزا للشموخ من خلال مخاطبته هو أسلوب الالتفات، له دلالات بقاء الفكر متقدا يجعل المعري حاضرا بامتداد الزمن الفاصل بينه وبين زمن الجواهري.

والقصيدة أفصحت عن مقدرة متميزة للجواهري ، (حيث أنه استدعاء للفكر في شخص المعري ، فقد جعل من فكره المستنير في مقابل المجتمع المتخلف مرموزة لصراع العلم مع الجهل ، فالنص هنا لا يمكن أن يكون نتاج شعور طارئ بل هو عمل أعمل فيه الفكر بترو)[23].

فالجواهري قد مارس انزياحا دلاليا بشخصية المعري ،حيث أخرجها من دلالاتها الاعتيادية إلى دلالات فلسفية واجتماعية مختلفة ،مع المحافظة على أصالتها التراثية فهو يستقدمها من التاريخ إلى الحاضر بتداعياته .

يقول الجواهري :

على الحصير وكوز الماء يرفده وذهنه ورفوف تحمل الكتبا[24]

نلمس في النص مسحة الفقر باستدعاء مظاهره (الحصير ، كوز الماء) غير أن فقر المعري هو تعالي عن الترف، هو الاحتفاء بالفكر (وذهنه ،الكتبا)، حيث من ذلك الملمح المادي المتناهي البساطة يخرج شيخ مفكر يقيم الدنيا ويقعدها ، وهنا نلمس وجها للمفارقة بين كلمة شيخ التي تعني الضعف وآخر العمر، وعبارة يقيم الدنيا ويقعدها وهي صورة لمنتهى القوة والتحكم، فالمعري قد ساد بعقله وقوة فكره ،وهي قوة مستدامة التوقد عالية الحضور عبر الزمن (ماضيها ، حاضرها ، مستقبلا مرتقبا).

وهذا التواتر بين القوة (أقام/أقعد) وامتداد الزمن يعطي الموقف الشعري فاعلية وحركة اهتزازية مناسبة له، فالشاعر يتأ لم لواقع مجتمعه من خلال استحضار حزن المعري على واقعه رغم محاولات استنهاضه وإيضاح سبيل إعمال العقل ، فالجواهري يربط بين الواقعي جسرا وطيدا تتأكد من خلاله معاناة المثقف في مجتمع متخلف عن استغلال مدارك العقل ، فالا ستحضار هنا أكسب النص قوة تعاضها قوة الشخصية المستدعاة من جهة، وقوة الجمع بين واقعين بينهما هوة زمنية سحيقة .

كما أن العمى وحرمان المعري من نعمة البصر تحول في شعر الجواهري إلى مرموزة للتحدي ،حيث المعري ينتشل نفسه من الظلام ليصنع عالما خاصا به ، بل استطاع أن يصور الحياة ببهجتها وقساوتها دون أن يراها بقوة البصيرة ، يقول الجواهري :

تلمَّسَ الحُسنَ لم يمدُدْ بمُبصرةٍ ولا امترَى دَرَّةً منها ولا حلبا
ولا تناولَ من ألوانها صُوراً يَصُدُّ مبتعِدٌ منهنَّ مُقتربا
لكنْ بأوسعَ من آفاقها أمداً ، وأرهفَ منها جانباً وشَبا
بعاطفٍ يتبنَّى كلَّ معتلِجٍ خفَّاقه ويُزَكّيهِ إذا انتسبا[25]

لقد شكل المعري عالمه دون حاجة للبصر، فقد امتاح الجواهري من ذلك قوة الشخصية ليوجه دفة المعنى نحو التجاوز ، تجاوز حيز الجسد إلى عوالم أكثر رحابة يشكلها الفكر ودقة الشعور(أوسع أفقا ، أمدا رحبا ، أرهف جانبا) ، إنه الخروج من طوق الأشكال الهندسية للعالم المنظور إلى عالم غير محدود الأطياف.

هوامش البحث :

1- ينظر : عبد الحسين شعبان ،الشعر في حضرة الجواهري ، ج .اتحاد كتاب مصر، احتفالية عن شاعر العراق الكبير محمد مهدي الجواهري ، القاهرة 28-8-2008

2- د.عادل عبد المنعم ، تناص الشكل في فن مابعد الحداثة ،مجلة كلية التربية الأساسية ،جامعة بابل ،العراق ،ع15،آذار 2014،ص598

3- ينظر المرجع نفسه،ص599

4 - الديوان ج4/304-309

5 - ينظر :يحيى، فرحان،أزمة المواطنة في شعر الجواهري: دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي، اتحاد الكتاب العرب،, 2001،ص 247

6- ت.س.إليوت: مقالات في النقد الدبي، ترجمة لطيفة الزيات، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1965-ص15

7- محمد مهدي الجواهري: مقال: (المغردة حياة حافلة وليست حروفاً، مجلة الأديب العراقي، العدد الأول، بغداد 1962، ص165.).

8- محمد مهدي الجواهري: مقال: (المغردة حياة حافلة وليست حروفاً، مجلة الأديب العراقي، العدد الأول، بغداد ،ص155، .165

9 –الديوان ج4/، ص699، 700، 704، .705

10-ينظر يحيى، فرحان،أزمة المواطنة في شعر الجواهري: دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي، اتحاد الكتاب العربن دمشق، 2001،ص 247

11- الديوان212/1.

12- سيد قطب: مقال: (الوعي في الشعر)، مجلة الكاتب المصري، العدد الثامن، المجلد الثامن، القاهرة 1946، ص.629

13- الديوان 501/2.

14- نفسه: 4/ ص.12

15- الديوان414/1

16- نفسه: 4/ ص43.

17 - يحيى، فرحان،أزمة المواطنة في شعر الجواهري: دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي، اتحاد الكتاب العرب،, 2001،ص 111

18-الديوان 2/.463

19 – ينظر: أزمة المواطنة في شعر الجواهري ،م س ، ص51

20- تطور الشعر العربي الحديث في العراق،منشورات وزارة الإعلام ، العراق ،1975،ص 293

21- الديوان ،83،84/3

22- تطور الشعر العربي الحديث في العراق، م س ، ص285

23- صبيح الجابر ،الجواهري موقف الملتزم وتداعيات الغربة ،
www.althakafaaljadeda.com/aljaber_s.htm

24- الديوان 83/3

25- الديوان 83/3 .